التبيان

في شمولية المعرفة القرآنية

المدخل الأول إلى تفسير الحكمة القرآنية

تأليف

د. رواء محمود حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم:

على بركة الله تعالى، وبلطف منه ورحمة ورفق وفتح منه سبحانه نشرع بعد التوكل على الله جل شأنه في وضع الخطوات الأولى للبدء بتفسير جديد للقرآن الكريم أسميناه (تفسير الحكمة القرآنية)[1]، ويراد لهذا المدخل أن يكون مقدمة منهجية لتحديد معالم المنهج الذي سنسير فيه إن شاء الله تعالى من أجل تفسير كتاب الله سبحانه. وسيأتي هذا المدخل تباعاً

---

[1] سبق هذا المدخل محاولتان لتفسير وفهم كتاب الله سبحانه، ومحاولة وضع علوم جديد على طريق تجديد التفسير والعلوم القرآنية، المحاولة الأولى كانت بعنوان: " أرض الله الواسعة .. تأملات في الآية (56) من سورة العنكبوت"، نشر في موقع الألوكة، بتاريخ 1435/9/3 هجري – 2014/6/30 ميلادي، على الرابط الآتي: http://www.alukah.net/sharia/0/72832/ ، وأما المحاولة الثانية فكانت بعنوان: " حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم"، نشرت أيضاً في موقع الألوكة بتاريخ: 1435/11/15 هجري – 2014/9/9 م، على الرابط الآتي: http://www.alukah.net/sharia/0/75741/.

على حلقات إن شاء الله تعالى، تتضمن كل حلقة شيئاً من المعارف القرآنية الميسرة ل(تفسير الحكمة القرآنية).

وهذه الحلقة الأولى من المدخل إلى تفسير الحكمة القرآنية تتضمن استنباطات حول شمولية المعرفة القرآنية والمفاهيم الكلية التي جاء بها كتاب الله تعالى إستناداً إلى قوله تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [النحل: 89].

ونسأل الله سبحانه بمنه وجوده وكرمه أن يعيننا على إتمامه، وأن يجعل قولنا وعملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

رواء محمود حسين

9 / جمادى الأولى / 1436 هـ

28 / 2 / 2015 م

أولاً: الكتاب الشامل

المعرفة التي تضمنها القرآن الكريم، وشبكة المفاهيم الكلية والتفصيلية التي جاء بها الكتاب العزيز معرفة هائلة تفتح أمام العقل الإنساني مجالات معرفة الخالق والمخلوق، وتعينه على التفكر في (ملكوت السموات والأرض) و(فهم طبيعة الوجود الإنساني) والغاية والحكمة من خلق الإنسان والكون، (ما بعد الموت).

والمعنى المتقدم أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [النحل: 89]. قال يحيى بن سلام في تفسير الآية المذكورة: " مَا بُيِّنَ فِيهِ مِنَ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ، وَالْكُفْرِ، وَالإِيمَانِ، وَالأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَكُلِّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ. وعَنْ أَبِي قِلابَةَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: نَزَلَ

الْقُرْآنُ عَلَى سِتِّ آيَاتٍ: آية مُبَشِّرَةٍ، وَآيَةٍ مُنْذِرَةٍ، وَآيَةِ فَرِيضَةٍ، وَآيَةٍ تَأْمُرُكَ، وَآيَةٍ تَنْهَاكَ، وَآيَةِ قِصَصٍ وَأَخْبَارٍ". [2]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أُبَيُّ وَهُوَ يُصَلِّي، فَالتَفَتَ أُبَيٌّ وَلَمْ يُجِبْهُ، وَصَلَّى أُبَيٌّ فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ، مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلاَةِ، قَالَ: أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِي إِلَيَّ أَنْ {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} قَالَ: بَلَى وَلاَ أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: تُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الزَّبُورِ وَلاَ فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلاَةِ؟ قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ القُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الْإِنْجِيلِ وَلاَ فِي

---

[2] يحيى بن سلام (المتوفى: 200هـ): " تفسير يحيى بن سلام"، تحقيق الدكتورة هند شلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ، 1425 هـ – 2004 م، 1 / 82.

الزَّبُورِ وَلاَ فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ. [3]

وقال الشافعي: " الحمد لله على جميع نعمه بما هو أهله، وكما ينبغي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، بعثه بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فهدى بكتابه، ثم على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم – بما أنعم عليه، وأقام الحجة على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقال: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً } الآية ". [4]

---

[3] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): "الجامع الكبير – سنن الترمذي"، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998 م، 5 / 5.

[4] الشافعي (المتوفى: 204هـ): " تفسير الإمام الشافعي "، تحقيق د. أحمد بن مصطفى الفرّان، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، 1427 – 2006 م، 2 / 1008.

نقل الطبري عن ابن جريج، في قوله : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } قال: ما أُمِروا به، ونهوا عنه. [5]

إلى هذه المعرفة الشاملة أشار السيوطي في كتابه: " الإكليل في استنباط التنزيل " فقد قال الله تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [النحل: 89]، وقال: { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام : 38].

وقال – صلى الله عليه وسلم –: "ستكون فتن" قيل وما المخرج منها؟ قال: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم" أخرجه الترمذي وغيره.

وقال سعيد بن منصور في سننه: عن ابن مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين. قال البيهقي أراد به أصول العلم. وقال الحسن البصري: أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة:

---

[5] محمد بن جرير الطبري (المتوفى: 310هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن "، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ – 2000 م، 17 / 287.

الجديد والطريف NEW & EXCLUSIVE

التوراة. والإنجيل. والزبور، والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان، ثم أودع علوم الفرقان المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير الكتب المنزلة. أخرجه البيهقي في الشعب. [6]

وقال ابن مسعود: إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله، أخرجه ابن أبي حاتم. وقال ابن مسعود أيضاً: أنزل في القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن، أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم. وأخرج ابو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة". وقال الإمام الشافعي، رضي الله عنه: جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع شرح السنة شرح للقرآن، وقال بعض السلف: ما سمعت حديثاً إلا التمست له آية من كتاب الله: وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله، أخرجه ابن أبي حاتم، وقال الشافعي أيضاً:

---

[6] السيوطي: " الإكليل في استنباط التنزيل "، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401 هـ – 1981م، ص 11.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

جميع ما حكم به النبي – صلى الله عليه وسلم – فهو مما فهمه من القرآن.

[7]

ويربط الفخر الرازي بين الآية القرآنية المذكورة في سورة النحل، أي قوله تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً } [النحل : 89]، وبين الآية التي تليها في السورة نفسها مباشرة، أي قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [النحل : 90]، فقال: " أَرْدَفَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ مُشْتَمِلَةً عَلَى الْأَمْرِ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، كَانَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِكَوْنِ الْقُرْآنِ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ هُوَ هَذِهِ التَّكَالِيفُ السِّتَّةُ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ، لِأَنَّ جَوْهَرَ النَّفْسِ مِنْ زُمْرَةِ الْمَلَائِكَةِ وَمِنْ نَتَائِجِ الْأَرْوَاحِ الْعَالِيَةِ الْقُدْسِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ دَخَلَ فِي هَذَا الْعَالَمِ خَالِيًا عَارِيًا عَنِ التَّعَلُّقَاتِ فَتِلْكَ الثَّلَاثَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا هِيَ الَّتِي تُرَقِّيهَا بِالْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتِلْكَ الْمَعَارِفُ وَالْأَعْمَالُ هِيَ الَّتِي تُرَقِّيهَا إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ

---

[7] السيوطي: " الإكليل في استنباط التنزيل "، ص 11 – 12.

وَسُرَادِقَاتِ الْقُدْسِ، وَمُجَاوَرَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتِلْكَ الثَّلَاثَةُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا هِيَ الَّتِي تَصُدُّهَا عَنْ تِلْكَ السَّعَادَاتِ وَتَمْنَعُهَا عَنِ الْفَوْزِ بِتِلْكَ الْخَيْرَاتِ، فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الثَّلَاثَةِ، وَنَهَى عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَقَدْ نَبَّهَ عَلَى كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُسَافِرُونَ مِنْ عَالَمِ الدُّنْيَا إِلَى مَبْدَأِ عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ ". [8]

وقال ابن القيم واصفاً كتاب الله تعالى: " ... الكتاب الْمُبِينِ، الْفَارِقُ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَالشَّكِّ وَالْيَقِينِ، أَنْزَلَهُ لِنَقْرَأَهُ تَدَبُّرًا، وَنَتَأَمَّلَهُ تَبَصُّرًا، وَنَسْعَدَ بِهِ تَذَكُّرًا، وَنَحْمِلَهُ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهِ وَمَعَانِيهِ، وَنُصَدِّقَ بِهِ وَنَجْتَهِدَ عَلَى إِقَامَةِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَنَجْتَنِي ثِمَارَ عُلُومِهِ النَّافِعَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ أَشْجَارِهِ، وَرَيَاحِينَ الْحِكَمِ مِنْ بَيْنِ رِيَاضِهِ وَأَزْهَارِهِ، فَهُوَ كِتَابُهُ الدَّالُّ عَلَيْهِ لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَتَهُ، وَطَرِيقُهُ الْمُوصِّلَةُ لِسَالِكِهَا إِلَيْهِ، وَنُورُهُ الْمُبِينُ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَرَحْمَتُهُ الْمُهْدَاةُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ إِذَا انْقَطَعَتِ

---

[8] فخر الدين الرازي (المتوفى: 606هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط3، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420 هـ، 20 / 262.

الْأَسْبَابُ، وَبَابُهُ الْأَعْظَمُ الَّذِي مِنْهُ الدُّخُولُ، فَلَا يُغْلَقُ إِذَا غُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا تَمِيلُ بِهِ الْآرَاءُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَالنُّزُلُ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تُقْلِعُ سَحَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي آيَاتُهُ، وَلَا تَخْتَلِفُ دِلَالَاتُهُ، كُلَّمَا ازْدَادَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ تَأَمُّلًا وَتَفْكِيرًا، زَادَهَا هِدَايَةً وَتَبْصِيرًا، وَكُلَّمَا بَجَسَتْ مَعِينُهُ فَجَّرَ لَهَا يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ تَفْجِيرًا، فَهُوَ نُورُ الْبَصَائِرِ مِنْ عَمَاهَا، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ مِنْ أَدْوَائِهَا وَجَوَاهَا، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ النُّفُوسِ، وَرِيَاضُ الْقُلُوبِ، وَحَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ، وَالْمُنَادِي بِالْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ: يَا أَهْلَ الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، نَادَى مُنَادِي الْإِيمَانِ عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } [الأحقاف: 31] . [9]

يرى النورسي أنه لما كان القرآن جامعاً لأشتات العلوم ولعامة الطبقات في كل الأزمان، لا يتحصل له تفسير لائق من فهم الفرد الذي قلما يخلص من التعصب لمسلكه ومشربه، إذ فهمه يخصه ليس له دعوة الغير

---

[9] ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي – بيروت، 1416 هـ – 1996م، 1 / 27.

إليه إلا أن يعديه قبول الجمهور. واستنباطه لا بالتشهي له العمل لنفسه فقط، ولا يكون حجة إلا أن يصدقه نوع إجماع. إذن لا بد أن يكون مفسر القرآن ذا دهاء عال، واجتهاد نافذ، وولاية كاملة. وما هو إلا (الشخص المعنوي) المتولد من امتزاج الأرواح، وتساندها وتلاحق الأفكار وتعاونها، وتظافر القلوب وإخلاصها وصميميتها، من بين تلك الهيئة. " فبسر " للكل حكم ليس كل " كثيراً ما يرى من آثار الإجتهاد وخاصة الولاية، ونوره وضياؤها، من جماعة خلت منها أفرادها". [10]

ويؤكد أبو الأعلى المودودي أن الأسلام (دين العلم والعقل) ويقوم على أساس العلم، ويخاطب العقل في صميمه، ويهدف إلى إخراج الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور العلم، لكي يعرف مكانته الحقيقية في الكون، ويدرك الجانب الحقيقي لعلاقته بالموجودات، ويستعين بالطاقات الظاهرة والكامنة والوسائل المادية والروحية لبلوغ الغاية الحقيقية لحياته، وهي القيام بالخدمة التي أوجبها الله تعالى عليه حينما جلعه خليفة له في هذه الحياة

---

[10] النورسي: " إشارات الإيجاز في مظان الإعجاز "، ط3، دار سوزلر، مصر، 2002 ، ص 23.

الدنيا، وابتغاء مرضاة الله تعالى. لا يعطل هذا الدين قوة قوة من قوى الإنسان، بل يرشدها لصرفها إلى طريق الحق والأستقامة، ولا يكبت الشهوات الإنسانية، بل يضع لها حداً معقولاً ومشروعاً. يقوم هذا الدين على العلم والعقل قبل كل شيء وبعده، فلا يمكن أن يتبع إتباعاً صحيحاً إلا بالعلم والعقل.[11]

والقرآن الكريم، كما يؤكد العقاد، يجعل التفكير الصحيح والنظر السليم إلى آيات ما في خلقه وسيلة من وسائل الإيمان، قال تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [البقرة : 164].[12]

---

[11] أبو الأعلى المودودي: " الإنسان في مواجهة التحديات المعاصرة"، تعريب خليل أحمد الحامدي، ط4، دار القلم، الكويت، 1400 هـ – 1980م، ص 10 – 12.

[12] عباس محمود العقاد: " الفلسفة القرآنية: كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والإجتماعية التي وردت موضوعاتها في آيات القرآن الكريم"، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص 11.

يؤكد د. عبد الحكيم الأنيس أنه لما كانت هذه الحياة ليست دار بقاء للإنسان، كان لا بد من دليل يرشده في حياته فيها، ويعرفه بأخطارها، ويبين له ما سيقبل عليه، من دار أخرى فيها النعيم للمتقين، والجحيم للخائضين المعرضين. وقد أرسل الله رسلًا كراماً وأنزل عليهم كتباً، تنير الطريق، وتوجه السالكين، إلى أن ختم الأنبياء بسيدهم الهادي البشير محمد صلى الله عليه وسلم، وأيده بمعجزاته وأنزل عليه كلماته، وقال تعالى: { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16) } [المائدة: 15 – 16] وقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175)}، [النساء: 174 – 175].[13]

---

[13] ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ): "العجاب في بيان الأسباب"، تحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي، السعودية، 5/1.

ويؤكد الشيخ عبد الحكيم الأنيس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك فينا كتاب الله وسنته عليه الصلاة والسلام، وإن تمسكنا بهما فلن نضل أبداً، ومن هنا كان من المحتم على الأمة الاعتصام بهما. ولا بد لذلك من الإقبال على درسهما، والبحث الدائم عن أسرارهما، والتطلع الدائم إلى أحكامهما وإرشاداتهما. وكان السلف صحابة وتابعين أحرص الناس على تحصيل علمه، والاستنارة بفهمه، والترغيب بالوقوف على معانية، والتنفير من الجهل بمراميه.[14]

---

[14] العجاب في بيان الأسباب، 1/ 6 – 8 .

ثانياً: مقدمة في سبيل الوصول إلى المعرفة الشاملة للقرآن الكريم

ليس قصدنا في هذا السبيل الموصل إلى المعرفة القرآنية الشاملة الإستقصاء بل سنورد نماذج تساعد على هذه الغاية، على أمل أن يتم تقديم هذه الوسائل الموصلة لفهم كتاب الله سبحانه تباعاً لاحقاً إن شاء الله تعالى:

1- كيفية فقه كتاب الله تعالى:

أورد القرطبي في مقدمة تفسيره ما أسماه: (باب كيفية التعلم والفقه لكتاب الله تعالى، وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما جاء أنه سهل على من تقدم العمل به دون حفظه):

عَنْ عُثْمَانَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيٍّ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقْرِئُهُمُ الْعَشْرَ فَلَا يُجَاوِزُونَهَا إِلَى عَشْرٍ أُخْرَى حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ

الْعَمَلِ، فَيُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا. وَفِي مُوَطَّأِ مَالِكٍ: انه بلغه ان عبد الله ابن عُمَرَ مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِي سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا. وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ ثَابِتٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى " أَسْمَاءُ مَنْ رَوَى عَنْ مَالِكٍ": عَنْ مِرْدَاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبِي بِلَالٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: تَعَلَّمَ عُمَرُ الْبَقَرَةَ فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمَّا خَتَمَهَا نَحَرَ جَزُورًا. وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ نَتَعَلَّمِ الْعَشْرَ الَّتِي بَعْدَهَا حَتَّى نَعْرِفَ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَأَمْرَهَا وَنَهْيَهَا. وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّا صَعُبَ عَلَيْنَا حِفْظُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَسَهُلَ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِهِ، وَإِنَّ مَنْ بَعْدَنَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ حِفْظُ الْقُرْآنِ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ بِهِ. وعن ابن عمر قال: كان الفضل مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا السُّورَةَ أَوْ نَحْوَهَا، وَرُزِقُوا العمل بالقران، وان أخر هذه الامة يقرءون الْقُرْآنَ مِنْهُمُ الصَّبِيُّ وَالْأَعْمَى وَلَا يُرْزَقُونَ الْعَمَلَ بِهِ. وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: اعْلَمُوا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا فَلَنْ يَأْجُرَكُمْ بعلمه حتى تعلموا.[15]

---

[15] القرطبي (المتوفى: 671 هـ): " الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي "، تحقيق أحمد البردوني

2- أنواع العلوم القرآنية:

يعتمد (تفسير الحكمة القرآنية) اعتماداً كبيراً على المؤلفات السابقة في مجال معرفة الأنواع اللازمة لفهم كتاب الله سبحانه.

وقد ذكر السيوطي في كتابه: " الإتقان في علوم القرآن" الأنواع الآتية:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي: الْمَكِّيُّ وَالْمَدَنِيُّ. الثالث وَالرَّابِعُ: الْحَضَرِيُّ وَالسَّفَرِيُّ. الْخَامِسُ وَالسَّادِسُ: النَّهَارِيُّ وَاللَّيْلِيُّ. السَّابِعُ وَالثَّامِنُ: الصَّيْفِيُّ وَالشِّتَائِيُّ. التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ: الْفِرَاشِيُّ وَالنَّوْمِيُّ. الْحَادِيَ عَشَرَ: أَسْبَابُ النُّزُولِ. الثَّانِيَ عَشَرَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ. الثَّالِثَ عَشَرَ: آخِرُ مَا نَزَلَ. الرَّابِعَ عَشَرَ: مَا عُرِفَ وَقْتُ نُزُولِهِ، الْخَامِسَ عَشَرَ: مَا أُنْزِلَ فِيهِ وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، السَّادِسَ عَشَرَ: مَا أُنْزِلَ مِنْهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ. السَّابِعَ عَشَرَ: مَا تَكَرَّرَ نُزُولُهُ. الثَّامِنَ عَشَرَ: مَا نَزَلَ مُفَرَّقًا. التَّاسِعَ عَشَرَ: مَا نَزَلَ جَمْعًا. الْعِشْرُونَ: كَيْفِيَّةُ إنزاله. وهذه كلها متعلقة بالنزول. الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: الْمُتَوَاتِرُ. الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ.

وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1384هـ – 1964 م، 1/ 39 – 40.

الْآحَادُ. الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ: الشَّاذُّ. الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: قِرَاءَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. الْخَامِسُ وَالسَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ: الرُّوَاةُ وَالْحُفَّاظُ. السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: كَيْفِيَّةُ التَّحَمُّلِ. الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: الْعَالِي وَالنَّازِلُ. التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ: الْمُسَلْسَلُ وهذه متعلقة بالسند. الثَّلَاثُونَ: الِابْتِدَاءُ. الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ: الْوَقْفُ. الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ: الْإِمَالَةُ. الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ: الْمَدُّ. الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: تَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ. الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ: الْإِدْغَامُ. السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ: الْإِخْفَاءُ. السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ: الْإِقْلَابُ. الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ: مَخَارِجُ الْحُرُوفِ وهذه متعلقة بالأداء. التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ: الْغَرِيبُ. الْأَرْبَعُونَ: الْمُعَرَّبُ. الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ: الْمَجَازُ. الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ: الْمُشْتَرَكُ. الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْمُتَرَادِفُ. الرَّابِعُ وَالْخَامِسُ: وَالْأَرْبَعُونَ الْمُحْكَمُ وَالْمُتَشَابِهُ. السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْمُشْكِلُ. السَّابِعُ وَالثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْمُجْمَلُ وَالْمُبَيَّنُ. التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ: الِاسْتِعَارَةُ. الخمسون: التشبيه. الحادي والثاني والخمسون: الكناية والتعريض. [16]

---

[16] جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): " الإتقان في علوم القرآن "، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1394هـ/ 1974 م، ص 20 – 21.

ويستند تفسير الحكمة القرآنية إلى العودة إلى (لغة العرب) المنبع الصافي في فهم آي القرآن الكريم، ونكتشف بالعودة إلى "مسائل نافع ابن الأزرق" أن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قد اعتمد هذه المنهجية في تأويل كتاب الله سبحانه.

جاء في مقدمة " مسائل نافع ابن الأزرق": " بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد أسدل رجله في حوض زمزم، إذ الناس قد اكتنفوه من كل ناحية يسألونه عن تفسير القرآن، وعن الحلال والحرام، وإذا هو يتعايى بشيء يسألونه عنه. فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عريم: يا ابن عباس، ما يحملك على تفسير القرآن والفتيا بما لا علم لك به؟ أشيئاً سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أم هذا منك تخرّصاً، فإن كان هذا منك تخرّصاً فهذه والله الجرأة على الله عز وجل. فقال ابن عباس مجيباً لنافع بن الأزرق: لا والله، ما هذا مني تخرّصاً، لكنه علم علمنيه الله، ولكني سأدلك على من هو أجرأ مني يا ابن الأزرق؟ قال: دلّني عليه. فقال: رجل تكلم بما لا علم له به، أو رجل كتم الناس علما علّمه الله عز وجل، فذاك أجرأ مني

يا ابن الأزرق. وقال نجدة: فإنك تريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله عزّ وجل، فتفسره لنا، وتأتينا بمصداقه من كلام العرب، فإن الله عزّ وجل أنزل القرآن بلسان عربي مبين. قال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما تجدا علمه عندي حاضرا إن شاء الله تعالى". قال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما تجدا علمه عندي حاضراً إن شاء الله تعالى. [17]

ثم يشرع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الإجابة عن الأسئلة بتفسير الكلمات التي سألا عنها والموجودة في كتاب الله سبحانه ببينان معناها، والإتيان بدليل المعنى من اللغة العربية، إلى أن يقدم (250) إجابة من لغة العرب على (250) مفردة قرآنية سألا عنها. ومن ذلك: " فقالا: يا ابن عباس: أخبرنا عن قول الله عزّ وجل: { عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ } [المعارج: 37] قال: عزين: الحلق الرفاق، قالا: وهل

---

[17] نافع ابن الأزرق: " مسائل نافع ابن الأزرق عن عبد الله بن عباس"، من طريقين: رواية أبي بكر أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم الختلي (ت 365 هـ)، ورواية أبي طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف (ت 442 هـ)، حققها وعلق عليها ووضع فهارسها وذيلها ب(ذيل مسائل نافع) التي لم ترد في هذه الرواية الدكتور محمد أحمد الدالي، ط1، الجفان والجابي، قبرص، 1413 هـ – 1993 م، ص 27.

تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاءوا يهرعمون إليه حتّى ... يكونوا حول منبره عزينا". [18]

كما إن لمعرفة (علم الناسخ والمنسوخ) أهمية قصوى في تفسير وفهم كتاب الله تعالى. فعن [أبي] البختري قال: " مرّ عليّ، عليه السلام، بمسجد الكوفة فرأى قاصّاً يقصّ على الناس فقال: من هذا؟ فقالوا: رجل يحدّث الناس. فقال عليّ، عليه السلام: هذا يقول: اعرفوني اعرفوني أنا فلان بن فلان. ثمّ قال: اسألوه هل يعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقالوا له: أمير المؤمنين يقول لك: تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا. فقال عليّ؛ فلا يرجع يحدّث" . [19]

ومن (الناسخ والمنسوخ) قوله تعالى: { كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

---

[18] نافع ابن الأزرق: " مسائل نافع ابن الأزرق"، ص 28. وديوان عبيد بن الأبرص مطبوع بشرح أشرف أحمد عدرة، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1414 هـ – 1994 م.

[19] محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزهري (المتوفى: 124هـ): " الناسخ والمنسوخ – وتنزيل القرآن بمكة والمدينة"، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (412 هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، ط3، مؤسسة الرسالة، 1418 هـ – 1998 م، ص 16.

(180) } [البقرة: 180]، قال قتادة: " والخير المال كأن يقال ألف فما فوق ذلك فأمر أن يوصي لوالديه وأقربيه ثم نسخ بعد ذلك في سورة النساء فجعل للوالدين نصيباً معلوماً وألحق لكل ذي ميراث نصيبه منه وليست لهم وصية فصارت الوصية لمن لا يرث من قريب وغير قريب.[20]

وغير ذلك الكثير من العلوم التي اشتمل عليها كتاب الله تعالى بما لا يستغنى عنه المتتبع والدارس للكتاب العزيز.

---

[20] قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (المتوفى: 117هـ): " الناسخ والمنسوخ"، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/ 1998م، ص 35.

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

الخاتمة

نخلص مما تقدم أن القرآن الكريم كتاب اشتمل على المعرفة كلها، بما لا يسع العقل الإنساني تجاهله، فكل ما يريد العقل الإنساني بحثه يجده في القرآن الكريم. ولذلك نستكشف بسهولة، ومن الوهلة الأولى أن القرآن الكريم يشتمل على كل ما نريد أن نعرفه عن الله سبحانه وعن أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وعن الغيبيات، والطبيعة، والكون، والإنسان، والتاريخ، والمستقبل، وعالم الوجود، وغير ذلك. ومن هنا يكون الكتاب الكريم المصدر الأول للحكماء المسلمين في البحث عن المفاهيم التي تعترض بحثهم والإشكاليات التي تواجههم.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ): "العجاب في بيان الأسباب"، تحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي، السعودية، 1418 هـ – 1997 م.
- ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي – بيروت، 1416 هـ - 1996م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): "الجامع الكبير - سنن الترمذي"، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998 م.
- حسين، رواء محمود حسين: " أرض الله الواسعة .. تأملات في الآية (56) من سورة العنكبوت"، نشر في موقع الألوكة، بتاريخ

1435/9/3 هجري - 2014/6/30 ميلادي، على الرابط الآتي:

http://www.alukah.net/sharia/0/72832/ .

- ________: " حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم"، نشرت أيضاً في موقع الألوكة بتاريخ: 1435/11/15 هجري - 2014/9/9 م، على الرابط الآتي:

http://www.alukah.net/sharia/0/75741/.

- الرازي، فخر الدين (المتوفى: 606هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ.

- الزهري، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب (المتوفى: 124هـ): " الناسخ والمنسوخ - وتنزيل القرآن بمكة والمدينة"، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (412 هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، ط3، مؤسسة الرسالة، 1418 هـ - 1998 م.

- السيوطي: " الإكليل في استنباط التنزيل "، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401 هـ - 1981م.

- ـــــــــــــــــ: " الإتقان في علوم القرآن "، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1394هـ/ 1974 م.
- الشافعي (المتوفى: 204هـ): " تفسير الإمام الشافعي "، تحقيق د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، 1427 - 2006 م.
- الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: 310هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن "، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.
- عبيد بن الأبرص: " ديوان عبيد بن الأبرص"، بشرح أشرف أحمد عدرة، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1414 هـ – 1994 م.
- العقاد، عباس محمود: " الفلسفة القرآنية: كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والإجتماعية التي وردت موضوعاتها في آيات القرآن الكريم"، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

- قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (المتوفى: 117هـ): " الناسخ والمنسوخ"، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/ 1998م.
- القرطبي (المتوفى: 671 هـ): " الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي "، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1384هـ - 1964 م.
- المودودي، أبو الأعلى: " الإنسان في مواجهة التحديات المعاصرة"، تعريب خليل أحمد الحامدي، ط4، دار القلم، الكويت، 1400 هـ – 1980م.
- نافع ابن الأزرق: " مسائل نافع ابن الأزرق عن عبد الله بن عباس"، من طريقين: رواية أبي بكر أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم الختلي (ت 365 هـ)، ورواية أبي طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف (ت 442 هـ)، حققها وعلق عليها ووضع فهارسها وذيلها ب(ذيل مسائل نافع) التي لم ترد في هذه الرواية

الدكتور محمد أحمد الدالي، ط1، الجفان والجابي، قبرص، 1413 هـ – 1993 م.

- النورسي: " إشارات الإيجاز في مظان الإعجاز "، ط3، دار سوزلر، مصر، 2002.
- يحيى بن سلام (المتوفى: 200هـ): " تفسير يحيى بن سلام"، تحقيق الدكتورة هند شلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ، 1425 هـ – 2004 م.